لا عزاء للإصلاحيين بالحزب الوطنى

ليس غريباً أن يكون فى الحزب الوطنى قياديون ونواب يدعون إلى قتل يختلفون معهم سياسياً عبر إطلاق النار على مظاهراتهم، أو بعض مَنْ فى قضية اجتمعت فيها كل عناصر الإثارة متهمون بالتحريض على القتل متناقضات، ورث من جنس ومال وسياسة. فهذا حزب فضفاض يجمع أكثرها عن «الاتحاد الاشتراكى» و«الاتحاد القومى» فى عصر السياسى الواحد التنظيم.

ولكن غريب أن يتعايش الإصلاحيون فى الحزب الوطنى مع هذا التدهور، حملوا راية «الفكر الجديد» وبشَّروا بأن هذا الفكر سيصنع وهم الذين جديداً يشمل حزباً متجدداً ديناميكياً يستطيع الفوز خلال سنوات قليلة واقعاً أدائه وليس استناداً إلى مساندة أجهزة الدولة فى الانتخابات، اعتماداً على الإدارية والأمنية.

كان ذلك فى عام 2002، بعد أن انضم السيد جمال مبارك إليه وأنشأ للسياسات لتكون «بيتاً للتفكير» وفق توجهات الفكر الجديد. الأمانة العامة الأمانة هى معقل الإصلاحيين فى الحزب، بالرغم وبدا وقتها أن هذه بخلاف ما أوحى به حضورهم من أنهم أقلية صغيرة فيها بحكم عددهم الإعلامى.

ومع ذلك، كان هناك اتجاه فعلاً لإصلاح الحزب وتحديثه وضخ دماء جديدة قدرة هذا الاتجاه على تحقيق ما سعى إليه كانت أقل بكثير مما فيه. ولكن متانة الهيكل التقليدى للحزب وارتباطه بمصالح بدا على السطح بسبب

المحافظات حيث يطغى نفوذ كبرى، سواء على المستوى المركزى أو فى العصبيات المحلية والقدرات المالية.

وظهر أثر ذلك واضحاً فى أول انتخابات برلمانية بعد إعلان «الفكر الجديد». وفشل معظم مرشحيه الرسميين أمام المنشقين عليه. خسر «الإخوان» فازوا بها وأخرى تتوفر لهم مزايا بعض أبرز إصلاحييه فى دوائر سبق أن نسبية فيها.

ولم يكن هذا هو الفشل الوحيد للإصلاحيين حينئذ، فقد أدى حصول «مرشحى» على 88 مقعداً إلى إضعاف مركزهم فى داخل الحزب. تمض سنوات قليلة حتى أصبح وكانت هذه بداية انحسار دورهم، فلم مواقف من الصعب تمييزهم عن غيرهم، وإن ظل لثلاثة أو أربعة منهم مميزة إعلامياً ولكن ليس حزبياً.

وهذه نهاية محزنة للإصلاحيين الذين يبدو أنهم قنعوا بها. وربما لم يدرك تحديث الأحزاب لا يتحقق بإطلاق شعارات. وربما أدرك بعضهم بعضهم أن يقدروا على تكلفة إصلاح حزبهم الآخر ذلك، ولكنهم لم.

فليس ممكناً إصلاح حزب السلطة بدون تطوير أداء هذه السلطة، وبالتالى النظام السياسى. ففى غياب إصلاح سياسى جدى، يصعب تحويل إصلاح لمساندة الحكومة إلى حزب يقودها حزب فضفاض ثقيل الحركة أنشئ ويتميز بالدينامكية.

واكتفى إصلاحيو الحزب الوطنى بإيجاد شكل جديد (نيولوك) للمحتوى الانطباع بأنه أصبح يقود الحكومة ويعقد مؤتمرات يبدو القديم، وإعطاء الوزراء فيها كما لو أنه يحاسب.

ولكن الحقيقة أنه ظل كما كان، جهازاً ملحقاً بالحكومة. ولأن إصلاح كان ضرورة ملحة لفتح الباب أمام تنافس سلمى حر الحزب الوطنى داخله- فى غياب هذا الإصلاح- دعوة ونزيه، فليس غريباً أن تنطلق من إلى العنف فى إدارة الصراع السياسى.

ولا عزاء لإصلاحيى هذا الحزب الذين اكتفوا بالشعارات و«النيولوك»، بعد الصلة بين هذه الدعوة الخطيرة إلى العنف وواقع حزبهم ولم يدركوا الذى يقاوم الإصلاح.